

# موقف السلطة وقتح وعرب ٤٨ من العدوان: دماء غزة وفراغات الانقسام

هبة السيد رمضان

التي صنفها مسئولو الأمم المتحدة وغيرها من منظمات المجتمع المدني الدولية بأنها قد اشتملت على انتهاكات ترقى إلى جرائم الحرب<sup>(١)</sup>.

فلعل الاختلاف والخصوصية هنا في مدلول هذه الحرب -مقارنةً بما قبلها- قد كمن في انعكاس «قبح» ما ذاع مشهده من الانتهاك الإسرائيلي لكل ما سطرته أقلام واضعي المواثيق والقوانين الدولية المنظمة للحروب في هذه الحرب الإسرائيلية، كما في سابقتها، على قبح الانقسام داخل الصف الفلسطيني في صراع مع الذات حول سلطة ترزح تحت سلطة أخرى هي سلطة الاحتلال، وظهوره للعيان في صورة تعكس بشاعة مستقاة من بشاعة الحرب غير المسبوقة ربما في تأثيرها على الرأي العام العالمي في عمومها، وليس الرأي العام العربي والإسلامي فحسب<sup>(٢)</sup>، والتي انتقلت بهذا الرأي العام في مجمله من «أرهاب المقاومة» التي كانت السائدة عشية الحرب، والتي سادت المدارك في عهد المحافظين الجدد برئاسة الرئيس الأمريكي «جورج دبليو بوش»، إلى التصاعد في اتجاه «شرعنة المقاومة» لدى كثيرين ممن كانوا يقولون بأرهابتها على مختلف ما يُحسبون عليه من توجهات وأجناس وديانات، للانتقال بذلك وفي الخطوة ذاتها إلى شرارة بدائية لم تزل طور التشكل -وأعني هنا أن قابليتها للنمو تبارزها قابليتها للإجهاض والإحباط في إطار حرب الشرعية القائمة ما بين محوري الممانعة والاعتدال- إلى ما يمكن تسميته بـ«أسنة المقاومة» والتي غذتها ودفعت الأذهان صوبها «لا إنسانية» الاحتلال وعدوانيتها التي جسدها الصور قبل الأقسام على مدار الأيام الاثنتين والعشرين الدامية التي قد شكت إلى العالم بثها عبر الآلة الإعلامية

لعل مما يميز مشهد الحرب الإسرائيلية على غزة، غير كونه قد جاء واصلا ما بين سنتين ميلاديتين بممر



خضبته الدماء المراقبة في شوارع غزة من ديسمبر ٢٠٠٨ إلى يناير ٢٠٠٩، أنه قد جاء فاصلا في ذات الوقت ما بين مرحلتين مختلفتين من مراحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وفق المسمى الدارج في المرحلة الحالية، كبديل لما عُرف في السابق بالصراع العربي الإسرائيلي، والذي قد حل في ظل انقسام هذه المرة ليس من يسيطر حدّه حدود اعترّف بها دولياً منذ نشأة إسرائيل كدولة احتلال قامت منذ عام ١٩٤٨ لتقسم الفلسطينيين ما بين عرب ٤٨، وفلسطينيي المهجر، وفلسطينيي الضفة وغزة، بشكل فارق ما بين مرحلتين تاريخيتين من عمر الصراع، بل انقسام على خلفية صراع مستجد، لكنه هذه المرة لا يخرج عن الذات الفلسطينية، والذي جاء عاكساً لصراع أوسع كرسنه وقائع وتوجهات السياسات الدولية في منطقتنا ما بين محورين متضادين التوجه والسياسات، والمعروفين بـ«محور الاعتدال» والداخل فيه السلطة الفلسطينية في رام الله والتي تسيطر عليها حركة فتح في جانب، و«محور المقاومة» أو«الممانعة»، والداخل فيه الحكومة المقالة في غزة والتي تسيطر عليها حركة حماس وتحسب على توجيهها حركة الجهاد في الجانب الآخر، وهو ما جعل لهدير الطائرات وصوت القذائف ونزيف لدماء طيلة الأيام الاثنتين والعشرين، والتي هي مدى هذه الحرب، مدلولاً مختلفاً عن كل مرة تنتهك فيها قوات الاحتلال الاسرائيلي أرواح وأجساد وممتلكات الفلسطينيين، لاسيما المدنيين منهم باعتبارهم الضحايا الرئيسيين للحرب الإسرائيلية

## التاسع من يناير ٢٠٠٩ مردودون سجلات إعلامية ولم تقدم حماس خلاله على إعلان أن الرئيس «عباس» لم يعد شرعياً

بعد أحداث ١١ من سبتمبر، من خلط ما بين المقاومة والإرهاب والتي كان لها وجود في السابق على صعيد الحالة الفلسطينية ولكن ليس بهذه الهيكلية- والذي على أساسه وُضع عدد من حركات المقاومة في الوطن العربي على قائمة المنظمات الإرهابية، كان من بينها فلسطينياً حركة حماس والجهاد الإسلاميتان إلى جانب كتائب شهداء الأقصى المحسوبة على حركة فتح<sup>(٥)</sup>، من ثم جعلها في وضعية منبوذة دولياً ولاسيما أمريكياً على وجه الخصوص، فيما يمكن تسميته كما سلفت الإشارة بـ«أرهابة المقاومة» على صعيد المنطقة عموماً، وبما انسحب بدوره على الحالة الفلسطينية.

ولعل حالة الاستقطاب الدولي ما بين محوري «الاعتدال» و«المانعة» هي ما أضافت بدورها بعداً دولياً جديداً لترسيخ الانقسام على أساس من هامش المناورة الذي أتيح لكل من حركتي حماس والجهاد في ظل وجود محور دولي في المنطقة يدعم توجه المقاومة، وهو ما يمكن أن يفسر في جانب من الجوانب مغزى تمسك كل طرف في معادلة الصراع الفلسطيني- الفلسطيني الحالي بمواقفه، والتي تعكس بدورها موقف القطب أو المحور الدولي الذي يتبعه ويستقوي به، والذي ينسحب بدوره على حالته وحالة أنصاره الإيديولوجيين من تشدد أو مرونة نابعة من التنسيق ما بين كل قطب والدائرين في مجاله محل الجذب والدعم والاحتماء.

### الموقف الرسمي للسلطة الفلسطينية:

عبرت السلطة الفلسطينية منذ أول أيام نشوب العدوان الإسرائيلي على غزة عن موقف جامع ما بين قاسمين مشتركين محل اختبار وتقييم في إطار هذه الورقة في رصد عموم الموقف الرسمي للسلطة الفلسطينية تحت قيادة فتح، أولهما يعبر عن التنديد بالحرب، والتعبير عن استنكار اراقة الدم الفلسطيني في قطاع غزة، وابداء مظهر المسئول «من منطلق وطني» عن القطاع كما الضفة، واتخاذ بعض الإجراءات والمظاهر الموحية بهذا الأمر سواء في الداخل أو على مستوى الخطاب الخارجي في المحافل الدولية. وثانيهما كان التعبير عن موقفٍ داعٍ للحوار مع حماس بهدف تشكيل حكومة وحدة وطنية، بما لم يخلُ من تحميل الأخيرة مسئولية شن العدوان في ظل سياساتها السابقة عليه. وهو ما يمكن معالجته من منطلقين: أولهما استعراض المؤشرات المعبرة عن ذلك على ضوء واقع الخطاب

المعولة، بما يفرض معه تساؤلات حول كيف أثرت وسوف تؤثر الحرب الإسرائيلية على غزة، على المشهد الداخلي الفلسطيني والذي تختص منه هذه الورقة بتحليل مواقف كل من السلطة الفلسطينية وحركة فتح، والتي تخضع لسيطرتها السلطة، وعرب ٤٨ من العدوان على غزة.

### المشهد العام عشية الحرب

#### أولاً: المشهد الفلسطيني

عبر المشهد السياسي الفلسطيني السائد عشية الحرب عن سيادة حالة من الانقسام الفلسطيني سياسياً وجغرافياً، ما بين رقتين إحداهما محاصرة برّاً وجوّاً وبحراً- باستثناء ما تمكن من الدخول خلسةً مهرياً عبر الأنفاق الواصلة ما بين الحدود المصرية وقطاع غزة، أو من خلال سفن فك الحصار رمزية الطابع المبحرة إلى القطاع- إلى جانب كون هذا الانقسام عشية الحرب كان مرشحاً للتفاقم على خلفية عدم عقد الحوار الوطني الشامل ما بين الفصائل الفلسطينية وعلى رأسها فصيلا فتح وحماس، وعدم تحقيق أهداف المبادرة المصرية المعلنة بصدده، وكانت الأمور تندر بتطورات دراماتيكية مع حلول التاسع من يناير ٢٠٠٩، حيث تعتبر حماس- مستندة إلى القانون الأساسي- أن مدة الرئيس عباس قد انتهت، ومن ثم يفقد الرئيس بعدها جميع صلاحياته، ولم يعد رئيساً شرعياً، بينما تعتبر فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية أن قانون الانتخابات الفلسطيني ينص على تزامن الانتخابات التشريعية والرئاسية، ما يمنح الرئيس عاملاً آخر، حتى تُعقد الانتخابات في شهر يناير عام ٢٠١٠.

وهو ما انعكس وقوع العدوان عليه فيما بعد بتجميد الانقسام الفلسطيني حول فترة الرئاسة، لدرجة أن يوم التاسع من يناير عام ٢٠٠٩ مر بدون سجلات إعلامية ولم تُقدم حماس خلاله على إعلان الرئيس «عباس» أنه لم يعد شرعياً<sup>(٦)</sup>.

#### ثانياً: المشهد الدولي:

كما سلفت الإشارة تأتي الحرب في خضم مناخ من الاستقطاب الدولي الحاد على صعيد منطقة الشرق الأوسط ما بين ما سُمي بمحور الممانعة بقيادة إيران والذي يدخل فيه كل من سوريا وحزب الله اللبناني وحركتي حماس والجهاد الفلسطينييتين لاسيما بعد انفصال حماس عن السلطة في رام الله وانفرادها بحكم غزة في يونيو ٢٠٠٧ على خلفية صراع فتحاوي حماساوى مسلح على السلطة، في مقابل «محور الاعتدال» الذي يشتمل على مجموعة الدول العربية الأكثر تفاهماً مع واشنطن، أو التي لا تُظهر خلافاً ملموساً مع السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط، وأهمها عربياً مصر والسعودية والأردن<sup>(٧)</sup>، والذي تنتمي إليه السلطة الفلسطينية بقيادة فتح، وذلك على خلفية أجواء سادت الموقف الدولي فيما

الطوارئ في وزارة الصحة وكافة المؤسسات الصحية في قطاع غزة، مصدرًا تعليمات لجميع الأطباء -بمن فيهم المتقاعدون- للالتحاق بالمستشفيات والمراكز الطبية فورًا من أجل المساهمة في تقديم العلاج والإسعافات للمصابين.

كما عبر عن الخطاب الداعي إلى التوحيد والمناصرة تصريح عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية «ياسر عبد ربه» في مؤتمر صحفي برام الله من خلال دعوته فصائل العمل الوطني، وخاصة فصائل منظمة التحرير، والتي خرجت من رحمها السلطة الفلسطينية بموجب اتفاق أو سلو عام ١٩٩٣<sup>(١١)</sup>، «لتهب لنجدة كل مصابي العدوان الإسرائيلي»، ودعوته إلى الوحدة سواء في قطاع غزة أو الضفة الغربية لمواجهة العدوان، وهو ما يشير إليه قوله «لقد حانت لحظة الوحدة واليقظة»<sup>(١٢)</sup>.

وأثناء الحرب اتخذت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قرارات مهمة، تقضي بتحميل إسرائيل المسؤولية عن العدوان، وتؤكد أن المنظمة بحكم موقعها التمثيلي ومسؤولياتها مسؤولة عن حماية الشعب الفلسطيني، وستسعى لوقف العدوان بكل الوسائل، واعتبرت أنه لا يمكن إجراء مفاوضات في ظل العدوان، ودعت حركة حماس وجميع الفصائل الأخرى للحوار في رام الله من أجل تنظيم الجهود الفلسطينية في مواجهة العدوان، على أساس أن الأولوية الآن لوقف العدوان. أما مسألة الحوار الوطني الشامل من أجل إنهاء الانقسام واستعادة الوحدة، فإنها يمكن ويجب أن تتأجل إلى ما بعد وقف العدوان<sup>(١٣)</sup>، وهو ما كان محل توافق من جانب حماس أيضًا على تأجيل الحوار الوطني إلى حين وقف العدوان، بدلا من الإسراع به، ليكون المدخل المناسب لوقفه، بما يرى فيه محللون أنه يعكس رغبة صريحة أو ضمنية من الطرفين في توظيف نتائج العدوان، كل طرف لصالحه. وهو ما اعتُبر، وفق وجهة النظر تلك، في مجمله موقفاً خاطئاً؛ لأن الحوار الوطني الشامل لإنهاء الانقسام واستعادة الوحدة كان يجب أن يبدأ فوراً وعلى أعلى المستويات غداة العدوان بوصفه كان يمكن أن يوفر المدخل المناسب لوقف هذا العدوان ودمر أهدافه<sup>(١٤)</sup>.

ثم قام الرئيس «عباس» بإصدار مرسوم يقضي بوقف الحملات الإعلامية، والتي التزمت بوقفها أيضاً حماس، وصرح بأن المفاوضات تسير في طريق أبوابه موصدة، وأن لدى الفلسطينيين خيارات أخرى يمكن أن يسيروا فيها إذا وجدوا أن طريق المفاوضات تمس مصالحهم الوطنية وذلك بدون اتخاذ موقف لتفعيل التصريح بوقف المفاوضات والسير في الخيارات البديلة<sup>(١٥)</sup>.

وحين توالى المبادرات بشأن وقف إطلاق النار في ظل اشتداد وطيس الحرب وتساعد انتهاكاتهما إجرامية الطابع،

والسلوك للسلطة الفلسطينية برام الله، وثانيهما هو اختبار مغزى تلك الخطابات والسلوكيات في مرآة ردود فعل الأطراف الأخرى ولا سيما حماس إلى جانب المجتمع الدولي الرافض سلوكيات محور الممانعة الذي تعتبر حماس أحد ممثليه.

### الموقف الرسمي للسلطة الفلسطينية أثناء الحرب:

في السابع والعشرين من ديسمبر وفي أول أيام القصف الجوي لغزة، والذي بدأت به القوات الاسرائيلية عدوانها، أعلن الناطق الرسمي باسم الرئاسة الفلسطينية «نبيل أبو دينة» أن الرئيس «محمود عباس» -الذي كان يوم العدوان متوجهاً في زيارة إلى الرياض- «يدين بشدة العدوان الغاشم الذي تشنه إسرائيل حالياً على قطاع غزة»<sup>(٦)</sup>، وأنه «يطالب الحكومة الإسرائيلية بوقف هذا العدوان فوراً لتجنّب أبناء شعبنا ويلات، كما يطالب المجتمع الدولي بالتدخل لوقف هذا العدوان»، ويأن «الرئيس يجري اتصالات مع عدة دول لوقف الغارات الإسرائيلية» وفق ما ورد في البيان<sup>(٧)</sup>. وهو ما تُرجم رمزياً من خلال إعلان السلطة الفلسطينية الحداد على ضحايا الهجمات<sup>(٨)</sup>.

وهو ما عبر عنه أيضاً الرئيس «عباس» في اليوم التالي خلال مؤتمر صحفي مع وزير الخارجية المصري «أحمد أبو الغيط» بالقاهرة بقوله: «يجب وقف شلال الدم والتوصل الى تهدئة»، إلى جانب تعبيره عن رغبته في إجراء حوار مع «حماس» بقوله: «زيد الحوار مع حماس أمس قبل اليوم، ومصر مكلفة بالاستمرار في رعاية الحوار»، وذلك بالتزامن مع تحميل حركة حماس وحكومتها المقالة والمنفردة بحكم غزة منذ يونيو ٢٠٠٧ مسؤولية ضرب غزة، وهو ما يبدو من تصريحه بأنه «منذ ٢٦ ديسمبر جرى الحديث حول الخطر القادم والأعداء التي يمكن أن تنذر بها إسرائيل من أجل ضرب غزة... لكن مع الأسف حصل ما حصل وكان يمكن تلافي ما حدث»<sup>(٩)</sup>. كما قامت السلطة الفلسطينية بمجموعة من الممارسات التي عبرت عن الموقف من الحرب على القطاع بوصفه داخلاً في نطاق «المسؤولية الوطنية» للسلطة الفلسطينية والتي قد تُترجم بتعبير آخر بأنها عبرت عن الموقف من العدوان على القطاع باعتباره جزءاً من الأراضي الداخلة في نطاق «سلطة» السلطة الفلسطينية في رام الله، وذلك على ضوء ما بدا من السلوك بغض النظر عن مجافاة ذلك لواقع الانقسام الفعلي على الأرض، ومن هذه السلوكيات على سبيل المثال: تأكيد رئيس حكومة تصريف الأعمال الفلسطينية «سلام فياض» التي لا تعترف حماس بشرعيتها<sup>(١٠)</sup> والذي أدان كذلك العدوان على غزة وطلب بالوقف الفوري له -بأن الحكومة تقوم بسلسلة من الاتصالات لضمان وقف الهجوم الإسرائيلي على أهالي قطاع غزة، كما تقوم بسلسلة من الإجراءات والخطوات الضرورية إزاء ما يجري في القطاع، إلى جانب تشديده على إعلان حالة

## عباس: من حق الشعب الفاستيني أن يقاوم ما دامت أرضه محتلة لكن السؤال: كيف ومتى وبأي طريقة يقاوم؟

هذه التظاهرات مدعومة من السلطة بالضفة، وهو الأمر الذي كان موجوداً منذ اليوم الأول للعدوان، حيث كانت السلطة تنظم مسيرات مناهضة للعدوان في الضفة<sup>(١٩)</sup>.

إلا أن ذلك كان مقروناً بحرص واشتراط السلطة الفلسطينية ألا تكون تلك التظاهرات لحساب دعم شعبية حماس في الضفة، ومن ثم فما كان مسموحاً به كان يدور في دائرة التنديد بالعدوان من المتظاهرين والدعوة إلى الوحدة الوطنية والتي جرت على السنة رموز السلطة الفلسطينية وفتح بوجه عام، وهو ما يفسر بدوره مواجهة قوات الأمن التابعة للسلطة للتظاهرات التي رفعت أعلاماً لحماس وهتفت لها، بالضرب والتفريق<sup>(٢٠)</sup>.

وهو ما يجعل من المزايدات والصراعات السياسية بين الطرفين لاسيما فيما يتعلق بحرب الشرعية، ولو بصوت خفيض يعلوه صوت القصف حينذاك، مشهداً لم يغيب عن تفكير السلطة حتى في مثل هذه الأوقات المخضبة بالدماء الفلسطينية التي لم تتمكن من خفض صوت الصراع ما بين الفريقين، والذي يتعلق هنا بالهاجس الأمني لدى السلطة تجاه حماس بعد ما حدث في يونيو ٢٠٠٧، على خلفية الصراع الذي سبق الانفصال، وهو ما قد يشير إليه تصريح الرئيس عباس بعد الحرب في مقابلة مع التليفزيون التشيكي في ٢٤ من فبراير ٢٠٠٩ بذكره خلالها أنه لا يخشى من تكرار قيام حماس في الضفة الغربية بما كانت قد أقدمت عليه في غزة، مؤكداً أن «حماس تعرف ذلك بشكل جيد»<sup>(٢١)</sup>.

ولعل التباين في المواقف ما بين السلطة في رام الله والحكومة المقالة في غزة حيال مبادرات وقف إطلاق النار وقرار مجلس الأمن الدولي المتعلق به قد تمدد واستؤنف في إطار الساحة العربية. وذلك على خلفية من التأثير بظاهرة الانقسام في الصف العربي الرسمي، والتي انعكست على انقسام الموقف العربي من العدوان. فقد رفض الرئيس عباس حضور قمة الدوحة الطارئة التي نظمتها قطر في ١٦ من يناير ٢٠٠٩ - والتي شاركت فيها إيران- وطالبت الدول المشاركة فيها بتعليق مبادرة السلام العربية<sup>(٢٢)</sup> التي يتمسك بها عباس وتتبنها دول «الاعتدال» العربي. حضر القمة ممثلون لحماس والجهاد تمت دعوتهم بعد اعتذار «عباس» عن عدم الحضور بالقمة، وهو ما فسره وبرر حدوثه رئيس الوزراء القطري «حمد بن جاسم بن

اتخذ الرئيس عباس موقف القبول للمبادرة المصرية الفرنسية في الأسبوع الأول من يناير ٢٠٠٩، بحسب إعلان الرئيس الفرنسي «نيكولا ساركوزي» حينها، والتي انطوت على ثلاث نقاط أساسية هي: قبول إسرائيل والفصائل الفلسطينية جميعها بوقف فوري لإطلاق النار لمدة محدودة لإتاحة الفرصة لإيصال مواد الإغاثة إلى سكان غزة من خلال ممرات محددة، والدعوة إلى الاجتماع لمناقشة سبل ضمان عدم تكرار الوضع الراهن ومعالجة جذوره، ثم «ضبط حدود» قطاع غزة، أي منع تهريب الأسلحة من مصر إلى القطاع، وهو مطلب إسرائيلي أساسي، واقتراح باستضافة مصر حواراً للمصالحة الفلسطينية يهدف إلى إنهاء الصراع بين حركتي فتح وحماس وتشكيل حكومة فلسطينية جديدة تكون مقبولة من جانب المجتمع الدولي.

كما قبل أيضاً قرار مجلس الأمن رقم ١٨٦٠، ودعا حماس لقبولهما دون تردد -أي المبادرة المصرية الفرنسية وقرار مجلس الأمن رقم ١٨٦٠- معتبراً السلطة هي التي ستتسلم معبر رفح وفقاً لاتفاقية المعابر، وبعد أن تكون المصالحة قد تحققت، بدون أن يوضح كيف ستتحقق المصالحة، في ظل هذا التباين الشاسع في المواقف، الذي بدأ من رد فعل حماس، التي تلقت هذه الدعوة من الرئيس «عباس» بالتصريح أن الحركة تعتبر نفسها غير معنية بقرار مجلس الأمن؛ لأنه لا أحد قد تشاور معها بصده، إلى جانب تحفظها على بعض البنود في المبادرة المصرية لاسيما فيما يتعلق بمسألة الهدنة، وهو ما يشير إلى التباين ما بين كل من السلطة وحماس إزاء الجهود الدبلوماسية لوقف العدوان بالاساس<sup>(١٦)</sup>.

وفي ١٠-١-٢٠٠٩ صرح الرئيس «عباس» بعد محادثات عقدها مع الرئيس «مبارك» في القاهرة بأن حركة حماس جزء من السلطة الفلسطينية والشعب الفلسطيني، غير أنه اعتبر أنه إذا كانت المقاومة «ستدمر شعبنا فلسنا بحاجة إليها»، مشيراً إلى أن المقاومة «ليست هدفاً في حد ذاتها، بل السلام هو الهدف». وفي موازاة ذلك حمل إسرائيل مسؤولية الحرب، مصرحاً بأنه «إذا لم توافق إسرائيل على قرار مجلس الأمن الخاص بوقف إطلاق النار فهي مسؤولة عن شلال الدم بغزة»<sup>(١٧)</sup>.

ومع احتدام المشهد الدموي وعدم توقف الغارات الإسرائيلية لاسيما بعد مقتل «سعيد صيام» القيادي البارز في حماس ووزير الداخلية في حكومتها المقالة بغزة، والذي تزامن مع دعوات من جانب حركة حماس للتظاهر فيما أسمته بيوم الغضب، وجهتها للفلسطينيين ليقوموا فيه بتنظيم مسيرات احتجاج مناهضة لإسرائيل عقب صلاة الجمعة، حينها وجهت السلطة الفلسطينية في رام الله دعوات مماثلة لأنصار حركة فتح للتظاهر تضامناً مع غزة في اليوم ذاته<sup>(١٨)</sup>. ويلاحظ خروج

الإسرائيلي»، وأكدت عدم تأثر قدراتها الصاروخية وبأن إطلاق الصواريخ سيتواصل على إسرائيل بما يشير إلى التمسك بسياسات حماس السابقة على الحرب، وأن الحركة قد حصدت ٨٠ جندياً إسرائيلياً كقتلى خلال الحرب، في مقابل ٤٨ جندياً قسامياً من حماس<sup>(٢٩)</sup>. وخرجت حماس من الحرب بشعبية متزايدة على الصعيد الداخلي بما في ذلك الضفة، إلى جانب الرأي العام المتعاطف مع غزة والمقاومة في العالمين العربي والإسلامي على حساب فتح والسلطة الفلسطينية في رام الله بحسب ما أعلن في تقارير واستطلاعات للرأي<sup>(٣٠)</sup>. واستفادت حماس كذلك من بعض المواقف الدبلوماسية المساندة لاسيما على صعيد الموقف الدبلوماسي التركي طيلة فترة الحرب وما بعدها بما وفر غطاءً سياسياً لقوى المقاومة الفلسطينية<sup>(٣١)</sup>.

ومع انتهاء العمليات العسكرية التي استمرت لاثنتين وعشرين يوماً انعقدت قمة الكويت والتي حضرها الرئيس عباس، وذكر خلالها بشأن حماس «لن نسامح من قتل» اتفاقية مكة» بعد أشهر قليلة من التوقيع عليها، ولو لم يكن الانقلاب عليها ما كان حصل ما حصل<sup>(٣٢)</sup>. وأكد خلالها أيضاً بشأن الموقف من أساس التعامل مع إسرائيل بعد الحرب لاسيما فيما يتعلق بالمبادرة العربية للسلام، والانقسام الفلسطيني بشأن الموقف منها بأنه «قد تُعقد بعد سنوات قمة أخرى ويقف فيها من يقول: «لن نسامح من لم يتجاوب مع دعوة الملك عبد الله بن عبد العزيز» إلى أن «نسمو على خلافاتنا ونتخذ موقفاً مشرفاً»، في إشارة إلى التوافق حول المبادرة العربية للسلام، ومشيراً إلى موقفه من خيارات التعامل مع إسرائيل في قوله «العرب أمام ثلاثة خيارات هي خيار اللاحرب واللاسلام وخيار الحرب وخيار السلام الذي نحن متمسكون به». وعزا تمسك القيادة الفلسطينية بالمبادرة العربية للسلام إلى أنها «مبادرة متماسكة وسندافع عنها لأنها تقول الأرض مقابل السلام». وتساءل عما إذا كانت إسرائيل تتوقع هدية أفضل من هذه المبادرة ثم أجاب «أشك في ذلك»<sup>(٣٣)</sup>.

وهو ما يعبر عنه كذلك تصريحه لجريدة الشرق الأوسط على هامش القمة في ٢٠ من يناير ٢٠٠٩ بقوله: «المجازر مدانة وحقيرة، ولكن طرح السلام مهم»<sup>(٣٤)</sup>.

ومع حلول وقت تفعيل المصالحة الوطنية والتي أُجلت -كما سلفت الإشارة- خطواتها العملية من جانب كل من فتح وحماس إلى ما بعد وقف العدوان، يمكن رصد وتحليل الموقف الرسمي للسلطة الفلسطينية من المصالحة -والتي يدخل في إطارها طبيعة مواقف ولهجة خطاب السلطة بشأن حماس- وإعادة الإعمار والعلاقات مع إسرائيل كعوامل مؤثرة بدورها على مسار المصالحة على النحو التالي:

جبر آل ثاني»، في مؤتمر صحفي عقده في ختام القمة، والتي سميت بـ«قمة غزة»، في معرض رده على سؤال حول عدم حضور «عباس» للقمة بقوله: «لقد قال لي محمود عباس إن حضوري القمة العربية سيذبحني من الوريد إلى الوريد، وطبعاً أنت لا تريد أن يحدث ذلك»، وبأن الرئيس عباس أخبره بأن عليه «ضغوطاً» لعدم الحضور<sup>(٣٥)</sup>. وهو ما تم نفيه فيما بعد على لسان الأمين العام للرئاسة الفلسطينية «الطيب عبد الرحيم» مرجعاً سبب عدم الحضور إلى أن عدم اكتمال النصاب، بحسب أنظمة الجامعة العربية، هو الذي حال دون حضور الرئيس «عباس»، وليس تعرضه لضغوط، متهماً قطر بتدبير ما أسماه في بيان صادر عن الرئاسة الفلسطينية «كميناً» خطط له الدوحة بغية «تكريس الانقسام الفلسطيني وتحويله كي يكون انقساماً عربياً لخلق محاور في النظام السياسي العربي» وفق ماورد في البيان<sup>(٣٤)</sup>.

كما انتقدتها المستشار السياسي للرئيس «عباس» بتصريحه بأن «قمة غزة الطارئة» بالدوحة لا تخدم القضية الفلسطينية وتكرس الانقسام الفلسطيني، مشيراً إلى أنها «ليست قمة عربية» وأنه «كان من الأفضل انتظار قمة الكويت لعرض كل هذه الآراء»<sup>(٣٥)</sup>، التي حضرها الرئيس عباس بالفعل بعد الحرب<sup>(٣٦)</sup>.

وفي ١٦ يناير ٢٠٠٩ عبّر الرئيس «عباس» خلال مؤتمر صحفي مشترك مع الأمين العام للأمم المتحدة «بان كي مون» عن ضرورة وجود قوة دولية في قطاع غزة «لتحمي أبناء الشعب الفلسطيني»، مرجعاً ذلك إلى أنه «من دون هذا الوجود ستبقى هناك اعتداءات مستمرة»<sup>(٣٧)</sup>. وعندما اتخذت إسرائيل قراراً ببدء الانسحاب التدريجي من غزة عقب على ذلك -المتحدث الرسمي باسم رئيس السلطة الفلسطينية «محمود عباس»- «نبيل أبو ردينة» قائلاً بأن «القرار الإسرائيلي خطوة أولى لا بد أن تليها اتفاقية هدنة وإنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة وانسحاب القوات الإسرائيلية من القطاع. وهو القرار الذي رأيت فيه مصادر سياسية إسرائيلية أنه يعبر عن خطوة تأتي من جانب الحكومة الإسرائيلية كمحاولة لحرمان حركة حماس من أي مكاسب سياسية قد تحصل عليها من اتفاق هدنة بوساطة مصرية»<sup>(٣٨)</sup>.

#### موقف السلطة الفلسطينية ما بعد الحرب:

خرج رئيس وزراء حكومة حماس المقالة في غزة إسماعيل هنية بعد اعلان اسرائيل انسحاب قواتها من غزة وبالتالي انتهاء غارات الحرب، التي تمددت جواً وبراً وبحراً، بإعلان «انتصار حماس»، و«فشل العدو في تحقيق اهدافه». وأعلنت كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحماس، بعد تصريحات هنية في مؤتمر صحفي «الانتصار على الجيش

أكد للمبعوث الأمريكي للشرق الأوسط ريتشارد ميتشل عند زيارته لرام الله أواخر يناير ٢٠٠٩ بأن «الصفحة وغزة والقدس وحدة جغرافية واحدة بالنسبة لنا». بالتوازي مع تأكيد ضرورة وحدة الصف الفلسطيني في سياق حكومة وحدة وطنية تعتمد مرجعية فتح والسلطة والمنظمة فيما يتعلق بالاتفاقات الدولية التي أبرمتها المنظمة مع إسرائيل. والتي تعني على الجانب الآخر محو مرجعية حماس والتي تشدد في عدم الاعتراف بإسرائيل من الأساس. وهو ما يشير إليه تصريح الرئيس «عباس» أثناء زيارته للتشيك بأن «المهمة الأولى الآن أمام الفلسطينيين تكمن في إحياء الوحدة الوطنية عن طريق تشكيل حكومة وحدة وطنية وإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية خلال عام ٢٠٠٩. وأوضح أن مرجعية تلك الحكومة ستكون «ملتزمة بالاتفاقات والالتزامات الدولية» وبما وصفه أثناء زيارته لتركيا في ٧-٢-٢٠٠٩ «جواز سفر» تلك الحكومة للانفتاح على العالم، موضعاً موقفاً مختلفاً من مسألة اعتراف حماس بإسرائيل بتصريحه من تركيا «لا نريد من حماس أن تعترف بالشرعية الدولية ولا بإسرائيل، ولكننا نريد من حكومة التوافق أن تعترف بالشرعية الدولية حتى يُرفع الحصار عن شعبنا بلا عودة». بما يدعو إلى التوقف عند كيفية تطبيق ذلك على أرض الواقع إن كانت حماس ستشارك في هذه الحكومة وأيضاً تحديد المقصود بالشرعية الدولية في خطاب عباس، والتي سيتوقف عليها مسألة التوافق الفعلي مع حماس ومطالبها من عدم ذلك<sup>(٣٨)</sup>. وهوما يوجي بانتقال السلطة من موقف يرفض الحوار إلا بعد تخلي حماس عن «انقلابها في غزة». وهو الأمر الذي رده كثيراً الرئيس عباس في السابق، ولاسيما في مرحلة ما بعد انعقاد مؤتمر أنابوليس للسلام في نوفمبر ٢٠٠٧، وأيضاً فكرة التهرب من الحوار بدون ذكر هذا الشرط والتي سادت موقف السلطة في مرحلة ما قبل العدوان على غزة<sup>(٣٩)</sup> إلى الاستعداد التام للدخول الفعلي في حوار مع حماس ولكن بشروط السلطة والتي لم ترضَ بها حماس في السابق، وليس من المنتظر قبولها من جانبها بعد الحرب وتناجها، مما يجعل من موقف السلطة لا يختلف كثيراً عن تلك المواقف التي اتخذتها قبل الحرب لكن مع إضفاء انطباع كلامي بالحرص على وحدة الصف الفلسطيني والذي ترسخ انشقاها بادراك طرفيه الرئيسيين: فتح وحماس، وعلى خلفية من الشقاق الفكري والمرجعي فيما بينهما، والذي بدأ أنه أكبر من أن يرضخ أمام الحرب وتداعياتها التي بدت عاجزة عن التخلص منه في المدى القريب ومع بقاء الأوضاع الدولية والإقليمية على الشاكلة نفسها والتي تدفع باتجاه تصفية كل طرف لنفوذ الطرف الآخر والطعن في شرعيته في نطاق رحي يدور بين فكيتها صراع أوسع ما بين المحورين الدوليين السائدين والمعرفين بمسمى «الاعتدال والممانعة».

- عادت السلطة الفلسطينية بقيادة فتح إلى الهجوم على حماس، الذي تجمد نسبياً أثناء الحرب عدا مسألة تحميل حماس مسئولية حدوث العدوان منذ بدايه نشوبه. فعلى سبيل المثال، صرح رئيس كتلة فتح في المجلس التشريعي الفلسطيني «عزّام الأحمد» في ٢١ من يناير ٢٠٠٩ ردّاً على اقتراح لحماس على لسان رئيس المكتب السياسي للحركة «خالد مشعل» من أجل تأسيس مرجعية وطنية جديدة بديلة لمنظمة التحرير الفلسطينية بأن مشعل «انشقافي». ووصف الإخوان المسلمين، حاضنة حماس قبل انطلاقتها في غزة عام ١٩٨٧، بأنهم «انشقاقيون، والتاريخ يؤكد ذلك، فالذي يختلف في الرأي مع الإخوان المسلمين، إما كافراً وإما خائناً»، إلى جانب مهاجمته المحور الدولي الذي تنتمي إليه حماس، من خلال تحميله كلا من إيران وسوريا إفسال الحوار الوطني الذي دعت إليه القاهرة، معللاً ذلك بالضغط على الفصائل من جانبيهما. وهو ما يشير إليه تصريحه أيضاً في ٢١ من يناير ٢٠٠٩ بأن «الضغط الإيراني على الفصائل الفلسطينية في دمشق دفع لعدم الاستجابة لحوار القوى الوطنية الفلسطينية في القاهرة» وبأن سوريا دفعت إلى «عدم تنفيذ قرارات وزراء الخارجية العرب المتعلقة بتكليف مصر برعاية الحوار الوطني الفلسطيني». وأضاف: «لم يحرك السوريون ساكناً على مدى أربعة شهور من القرارات، ما يؤكد أن هناك توجهاً ونيت لإبعاد مصر عن القضية الفلسطينية»<sup>(٣٥)</sup>. ولعل هذا التصريح الأخير يجسد - من أحد جوانبه- الخلفية الإدراكية للمحاور الدولية في المنطقة -الاعتدال والممانعة- والتي باتت مشكلاً رئيسياً لسلوك كلا الطرفين -فتح ومن يناصر توجهاً وحماس ومن يناصر توجهها- في إدارة «الصراع» فيما بينهما، وبما يعرقل بدوره فرص التصالح أو الحوار الجدي طالما ظل الوضع الدولي والإدراكي له من الجانبين كما هو.

- حرص الرئيس عباس على السعي باتجاه كسب موقف دولي داعم لشرعية السلطة الفلسطينية وترسيخ تواجدها كمثل للشعب الفلسطيني، ومؤيداً للقضية الفلسطينية وأسلوب التعاطي في مرحلة ما بعد الحرب من منظورها -أي السلطة- وهو ما يمكن في إطاره وضع ما قام به الرئيس «عباس» من جولات عربية وأوروبية في هذا السياق والتي تناولت موضوعات من أهمها آليات إعادة إعمار قطاع غزة وموضوع التهدئة بين إسرائيل والفلسطينيين والحوار الفلسطيني - الفلسطيني<sup>(٣٦)</sup>. وهو ما بدأ من تصريحات الرئيس عباس خلال تلك الجولات لاسيما فيما يتعلق بإعادة الإعمار، بمطالبته الدول المانحة بمنح أموال الإعمار للسلطة في رام الله لتتولى إعادة الإعمار. ثم قبوله تولي جهات دولية إعادة الإعمار في قطاع غزة في ظل استمرار الانقسام الفلسطيني<sup>(٣٧)</sup> بما يعني إخراج حماس من معادلة لعب دور بشأن إعادة الإعمار. كما

الكلمة في بيئة السياسة الدولية في المرحلة الحالية- والتي تبدو التصريحات والخطابات الخاصة بالسلطة الفلسطينية متناغمة مع تبايناتها النسبية. وهو ما يبدو أيضاً على سبيل المثال في موقف الرئيس عباس والمتباين من حيث اللهجة ونهج ردود الفعل تجاه حركة حماس وما تبديه من مواقف عن الموقف سالف الذكر لأحد الكوادر السياسية المحسوبة على السلطة الفلسطينية زعيم كتلة فتح في المجلس التشريعي الفلسطيني «عزام الأحمد» فيما يتعلق باقتراحات تأسيس مرجعية جديدة بديلة عن منظمة التحرير<sup>(٤٢)</sup> والتي تحدث حولها الرئيس عباس خلال زيارته لتركيا بخطاب هادئ ولهجة متوازنة بعيدة عن الهجوم مقارنة بتصريحات «الأحمد»، ولهجة «عباس» هجومية الطابع في بعض الأحيان، وهو ما يشير إليه قوله «نعم المنظمة تعرضت لهزات كثيرة لكنها صمدت ونحن لا ننكر أنها تحتاج إلى بعض الإصلاح ولديها ثغرات لا بد من سدها وهذه نتجت من طبيعة ظروفنا، والحديث عن هدمها أمر لا نقبل به. مستطرداً «إن من يريد أن يدخل تحت مظلة المنظمة عليه أن يعترف ببرنامجه وقوانينها وإذا أراد أن يغير تلك البرامج فليدخل المنظمة أولاً ومن ثم يغير إن حصل على إجماع بذلك»<sup>(٤٣)</sup>.

#### العلاقات مع إسرائيل

استمر تنديد السلطة بالعدوان على غزة إلى ما بعد الحرب كموقف رسمي، وعلى رأسها الرئيس «عباس» والذي صرح بعد انتهاء الحرب بأنه طالب بفتح «تحقيق دولي» في جرائم إسرائيل، وهو ما يشير إليه تصريحه: «قمنا بطرق أبواب محكمة الجنايات الدولية، وسنعمل كل ما نستطيع لنثبت أن إسرائيل ارتكبت أبشع الجرائم ضد أبناء الشعب الفلسطيني». وفيما يتعلق بالتفاوض مع إسرائيل، قال عباس إن الحرب الأخيرة على قطاع غزة وتجربة المفاوضات الطويلة بينت له «إن إسرائيل لا تريد السلام»، مضيفاً في إحدى المقابلات الصحفية في أواخر يناير ٢٠٠٩: «اليوم أصبحت لدينا قناعة أكثر رسوخاً، خصوصاً بعد العدوان على قطاع غزة، بأنها (إسرائيل) لا تريد السلام، ونحن سنقول ذلك لكل من يأتينا»، بالإضافة إلى قوله «إسرائيل لا تريد سوى إضاعة الوقت وتكريس الأمر الواقع»، إلا أن ذلك لم يمنع من تلازم ذلك مع تأكيد تمسكه بمبادرة السلام العربية لأنها «مبادرة متماسكة» بحسب وصف «عباس»، معلناً أنه سيدافع عن هذه المبادرة «لأنها تقول الأرض في مقابل السلام»<sup>(٤٤)</sup>، وهو ما أكدده لـ«ريتشارد ميتشل» مبعوث الرئيس الأمريكي «باراك أوباما» للشرق الأوسط، والذي زار رام الله دون غزة في أواخر يناير ٢٠٠٩. ووعده عباس بأن بلاده ملتزمة بالعمل من أجل مستقبل أفضل للفلسطينيين، من خلال حل للصراع في المنطقة، على أساس قيام دولتين تعيشان جنباً إلى جنب. وأكد له عباس

- يلاحظ أيضاً عودة السلطة ولاسيما الرئيس «محمود عباس» لتحميل حماس مسئولية وقوع الحرب بعد انتهائها بدعوى «عدم قراءتهم الحرب المقبلة» بحسب عباس رغم التحذيرات، والتي صرح الرئيس عباس أنه أرسلها إليهم، ولإعطائهم المبرر لإسرائيل لشن هذه الحرب على قطاع غزة التي وصفها بـ«الأعنف منذ نكبة ١٩٤٨». واعتبر أن قادة الحركة غامروا بأهل غزة، وأن مثل «مشعل يمكن أن يقدم إلى المحاكمة في دول أخرى». تلازم ذلك تدارك مخاطر مثل هذه التصريحات في ظل ارتفاع شعبية حماس والمقاومة في الأراضي الفلسطينية المحتلة وخارجها، والتي أدت إلى ما هو أشبه بارتباك الخطاب لدى السلطة الفلسطينية ما بين الهجوم الحذر على الحركة، تحديداً فيما يتعلق بمسألة مشروعية المقاومة، وما بين اللجوء في خطابات أخرى إلى الحديث الإيجابي عن المقاومة بلا تحفظات. ومع موازاة ذلك الحديث عن مسألة خيار السلام والتسوية مع إسرائيل من منطلق المبادرة العربية للسلام، وهو ما قد يبدو على سبيل المثال من خطاب عباس أثناء زيارته في ٧-٢٠٠٩ لتركيا -والتي دعمت في المجمل وبشكل ملحوظ حركة حماس أثناء وبعد الحرب- من خلال تأكيده «حق الفلسطينيين في المقاومة ما دام الشعب يعاني الاحتلال». بالتوازي مع قوله: «إن الشعب الفلسطيني جرب ثلاثة خيارات وهي: حالة اللاسلم واللاحرب ولا يُريد العودة إليها، وجرب خيار الحرب طويلاً ولم يأت إلا بالويلات عليه، وبعد ذلك نحن نتبنى خيار السلام على أساس المبادرة العربية التي تحظى بدعم عربي وإسلامي وأمريكي»، مستدرجاً «خيار السلام هو خيارنا، ولكن أريد أن أتساءل: هل إسرائيل مستعدة لهذا الخيار؟ وإذا رفضته كيف سيكون موقف العالم منها؟»، وهو ما اختلف عن حديثه عن المقاومة خلال زيارته للتشيك أواخر فبراير ٢٠٠٩ التي صرح أثناءها بأنه «من حق الشعب الفلسطيني أن يقاوم ما دامت أرضه محتلة، لكن السؤال: كيف ومتى وبأي طريقة نقاوم؟ وهل يستطيع أحد أن يجبر الشعب بكامله لأنه اعتقد أن رد إسرائيل لن يكون بهذه الشراسة؟»، في إشارة إلى حماس، مستطرداً «المعركة انتهت، لكن الحرب مستمرة»<sup>(٤٥)</sup>. والتي سبقتها في مرحلة ما قبل انتهاء الحرب تصريحات أكثر حدة نسبياً على شاكلة أنه إذا كانت المقاومة «ستدمر شعبنا فلسنا بحاجة إليها»، مقروناً بالإشارة إلى أن المقاومة «ليست هدفاً في حد ذاتها بل السلام هو الهدف»<sup>(٤٦)</sup>. وهو ما يمكن ربطه وتعليقه إلى جانب مسألة مخاطر الخطاب غير الحذر بشأن «المقاومة كخيار» بعد ما تمخض عن الحرب من نتائج كانت من هذه الزاوية في صالح حماس، بمسألة الارتباط بمواقف دولية «متفاوتة» في هذا الشأن في معسكر دول العالم غير المحسوبة على محور الممانعة والتي تبدى تفاوتاً في أسلوب ونهج «الاعتدال» -بحسب المصطلح على

## دعم المقاومة إلى جانب المطالبة الواضحة بفك الحصار ومسألة إجبار إسرائيل على إنهاء الاحتلال والحصار والاستيطان هي مفردات الاختلاف في موقف نموذجي النخبية في فتح

ما أبدت بصدده «فتح» استعدادها «للبدء في الحوار على الفور»، بينما اشترطت «حماس» الإفراج عن معتقليها في سجون السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية.

- وفي ٢٦ - ١ - ٢٠٠٩ انعقد لقاء ما بين عزام الأحمد رئيس الكتلة البرلمانية لحركة «فتح»، مع جمال أبو هاشم عضو وفد حركة «حماس» بالقاهرة لمدة ٢٠ دقيقة كأول لقاء بين الحركتين منذ مارس ٢٠٠٨، تمهيداً للحوار الوطني الفلسطيني الشامل في القاهرة، والذي جاء بمبادرة من جانب فتح<sup>(٤٩)</sup>.

في ١٠ من فبراير ٢٠٠٩ اقترحت حركة فتح على حركة حماس خلال لقاء جمع وفديهما بالقاهرة بدء حوارات سرية بعيدة عن وسائل الإعلام، وذلك على سبيل التمهيد لحوار المصالحة بين الفصائل الفلسطينية المقرر في ذات الشهر ذاته. وردت حماس حينها على ذلك بأنها ستنتقل ذلك لقيادتها، مع تأكيدها ضرورة البدء أولاً بتهيئة الأجواء للحوار من خلال إطلاق المعتقلين ووقف حملات الاعتقال بالضفة<sup>(٥٠)</sup>.

- وفي ١٨ من فبراير ٢٠٠٩ أعلنت مصر تأجيل الحوار الوطني الفلسطيني الذي كان مقرراً استئنافه في القاهرة يوم ٢٢ فبراير لـ «فترة وجيزة» بهدف إجراء مزيد من المشاورات، وهو ما أرجعه رئيس كتلة فتح البرلمانية عزام الأحمد إلى مسألة تعثر التهيئة<sup>(٥١)</sup>.

- في ٢٤ - ٢ - ٢٠٠٩ أفرج الرئيس «محمود عباس» عن قرابة أربعين معتقلاً من حماس في الضفة الغربية.

- في ٢٦ - ٢ - ٢٠٠٩ اجتمعت الفصائل الفلسطينية المشاركة في حوار المصالحة في القاهرة، إضافة إلى شخصيات فلسطينية مستقلة وجهت مصر إليها الدعوة<sup>(٥٢)</sup>، وتوصلوا خلاله إلى اتفاق على تشكيل حكومة توافق وطني «انتقالية» حتى يتم إجراء الانتخابات التشريعية والرئاسية، إلى جانب اتفاقهم على تشكيل عدد من اللجان لمراقبة نتائج الحوار الفلسطيني، وتحديد شكل الحكومة بنهاية مارس ٢٠٠٩<sup>(٥٣)</sup>.

- وفي آخر فبراير ٢٠٠٩ ظهرت أولى بوادر الخلاف ما بين فتح وحماس حول حكومة الوحدة الوطنية بسبب موقف الرئيس

استعداد السلطة الفلسطينية للمضي قدماً نحو تحقيق مبادرة السلام العربية وخارطة الطريق وقرارات الشرعية الدولية، وما يضمن انسحاب إسرائيل إلى خط الرابع من حزيران من عام ٦٧، وإقامة دولة فلسطين المستقلة بعاصمتها القدس الشرقية، وهو ما كان تعليق حماس عليه أنه «لا جديد في زيارة ميتشل إلى الأراضي الفلسطينية ولا بنبي على نتائجها برفع سقف توقعاتنا، فلم ينجم عنها خطوات عملية من فك الحصار وفتح للمعابر ولجم للعدوان»<sup>(٤٥)</sup>.

### إعادة الإعمار

عملت السلطة الفلسطينية على اتخاذ مسالة إعادة إعمار غزة ورقة لمحاولة تكريس فرض تواجدها وعودة نفوذها إلى قطاع غزة المنفصل عنها منذ يونيو ٢٠٠٧. في البداية أعلنت السلطة قيامها بمسألة إعادة الإعمار بنفسها، والذي عبر عنه مطالبة السلطة الفلسطينية بتحويل أموال إعادة إعمار القطاع إليها. وهو ما يشير إليه تصريح رئيس الوزراء بحكومة رام الله سلام فياض «بأن المعونات المطلوبة لإعادة الإعمار ينبغي أن تمر من خلال السلطة الفلسطينية»، مع رفضه بـ «بُعيد الحرب اقتراحات من جهات أوروبية ودولية بنقل مهة إعادة الإعمار لجهات دولية بسبب «خصوصية وضع القطاع»؛ لأن ذلك سيغير مدلوله عن كون أن «المانحين الدوليين الحريصين على إعادة بناء قطاع غزة يخاطرون بتعميق الانقسام السياسي من خلال تجاهل دور السلطة الفلسطينية»، وقوله «إنهم (المانحون) يفترضون أن الانفصال بين غزة والضفة الغربية سيستمر.. وأعتقد أن عدم التصدي لقضية الانفصال قد يؤدي فعلياً إلى تكريسه»<sup>(٤٦)</sup>.

ثم انتقلت السلطة إلى عدم الممانعة من تولى جهات دولية إعادة الإعمار في قطاع غزة في ظل استمرار الانقسام الفلسطيني بحسب تصريح الرئيس «عباس» في أواخر يناير ٢٠٠٩<sup>(٤٧)</sup>، وأيضاً تصريحه قبلها في الأسبوع الثالث من يناير ٢٠٠٩ حول تصوره لألية إعادة إعمار غزة، بقوله: «يجب أن تكون من خلال السلطة الفلسطينية والمؤسسات الدولية»<sup>(٤٨)</sup>.

### تطورات المصالحة الفلسطينية

يمكن رصد أهم ما اتخذ من خطوات على طريق المصالحة بين الفصائل الفلسطينية - وعددها ١٣ فصيلاً فلسطينياً - وعلى رأسها فتح وحماس، والتي لم تزل لم تُحسم بعدُ حتى تاريخ كتابة هذه السطور، على النحو التالي:

- في ٢٢ - ١ - ٢٠٠٩ أعلنت اليمن عن طرحها مبادرة جديدة برعاية مصرية سورية تركية قدمتها إلى السلطة الوطنية الفلسطينية وقيادة حركة حماس قبل يومين من انعقاد «القمة الاقتصادية العربية في الكويت» لاستئناف الحوار بينهما، وهو



إسرائيل بقوله «إنها باحتلالها أو بعدوانها هذا لم ولن تستطيع أن ترعك شعبنا أو أن تفرض عليه استسلاماً طوال عمر الاحتلال، ولن تفرضه اليوم على جثث عشرات الشهداء الفلسطينيين».

### حركة فتح في غزة

عبرت حركة فتح في غزة عن إدانتها للحرب منذ اليوم لبدايتها، والتي وصفها حينذاك إبراهيم أبو النجا عضو اللجنة القيادية العليا لحركة فتح في قطاع غزة بـ«المجزرة الرهيبة التي نفذتها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق أبناء شعبنا»، ودعا لتكاتف الجميع في مواجهة هذه الهجمة الإسرائيلية، وطالب جميع الأطقم الطبية بالإسراع في الالتحاق بالمقرات الطبية، وتقديم العلاج اللازم للجرحى، مناشداً المواطنين من أبناء الشعب الفلسطيني التبرع الفوري بالدم لإنقاذ الجرحى والمصابين». ومشيراً إلى الوحدة من خلال مطالبته للجميع «بالتوحد والتكاتف لمواجهة العدوان الإسرائيلي الذي لا يفرق بين أبناء فتح وحماس».

### حركة فتح في القدس

أعلنت كذلك حركة فتح في القدس تنديدها بالحرب من خلال إعلان إضراب شامل في المدينة، إلى جانب دعوة حاتم عبد القادر -رئيس لجنة القدس في حركة فتح- إلى وقف جميع أشكال المفاوضات مع إسرائيل رداً على هذا العدوان (٥٥).

وإذا كانت حركة فتح على الصعيد السياسي قد اتخذت موقفاً سياسياً مندداً بالعدوان الإسرائيلي على غزة، فإن ذلك وازاه أيضاً موقف فتحاوي في الميدان من خلال كتائب شهداء الأقصى، الجناح العسكري للحركة، والمنقسم نسبياً عنها في بعض الرؤى والتوجهات إلا أنه تربطه بها أواصر قائمة على التسوية على أساس دولة فلسطينية مستقلة على حدود الرابع من حزيران «يونيو» عام ٦٧ عاصمتها القدس وعودة اللاجئين وإطلاق سراح المعتقلين، إلى جانب الولاء لياسر عرفات كزعيم ورمز لفتح على الصعيدين السياسي والعسكري، وهو ما تمثل فيما كشفت عنه هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي في ٣١-١-٢٠٠٩ من أن كتائب شهداء الأقصى قد شاركت في معارك غزة البرية ضد قوات الجيش الإسرائيلي بعدد من جنود بلغ ١٥٠٠ مقاتل بحسب التقرير المنشور (٥٦).

بحسب تصريحات لرئيس كتلة فتح البرلمانية «عزام الأحمد» فإن ٦ أفراد من الأمن الرئاسي استشهدوا في مواجهة العدوان الإسرائيلي»، كما «استشهد ٦٩ من مقاتلي حركة فتح» خلال مواجهات مع إسرائيل في الحرب على غزة (٥٧).

ولكن في الوقت ذاته فثمة اتهامات لحماس من جانب قيادات سياسية فتحاوية وفق تصريح عزام الأحمد زعيم كتلة

«عباس» من توجه حكومة الوحدة المرتقبة بتصريحه خلال مؤتمر صحفي مع المنسق الأعلى للسياسة الخارجية والأمن في الاتحاد الأوروبي، خافيير سولانا، في رام الله، والذي قال فيه «نسير بخطوات ثابتة تجاه المصالحة الوطنية.. نحو حكومة وحدة وطنية أو حكومة إجماع وطني تلتزم بالتزاماتنا المعروفة وهي رؤية الدولتين». مضيفاً: «هذه الالتزامات واضحة أمام هذه الحكومة لتمارس عملها؛ لأننا لا نريد أن نعود مرة أخرى إلى الحصار الذي عانيناه في الماضي»، وهو ما سارعت حماس إلى رفضه ليعود الحوار إلى مرحلة التعثر من جديد (٥٤).

### ثانياً: موقف حركة فتح من العدوان

بالرغم من صعوبة الفصل النظري ما بين فتح من جانب والسلطة الفلسطينية من الجانب الآخر؛ نظراً لتماهي الأولى في الثانية والتي تسيطر عليها في الوقت الحالي، إلا أن الواقع العملي كذلك يشير إلى أن تماهي فتح في السلطة على الجانب الآخر لا وجود تام له، وهو ما يمكن تفسيره بدوره بواقع الانقسام الفكري ومن ثم السلوكي على صعيد الحركة ذاتها، لاسيما فيما يتعلق بخيار المقاومة في ظل واقع دولي تتبنى في إطاره الدول الكبرى -وعلى رأسها الولايات المتحدة- موقف «أرهبه المقاومة». وهو ما يجعل للموقف الرسمي للسلطة في رام الله خصوصية تنطلق من التماهي مع مواقف القوى الغربية بالأساس إلى جانب دول الاعتدال العربي والدولي التي لا تبدي صداماً معها في الجمل، وهو ما يمكن بدوره استعراض الموقف السياسي والعسكري لحركة فتح على النحو التالي:

### الموقف الرسمي للحركة

كما هو الحال بالنسبة للسلطة الفلسطينية اتسم الموقف العام لحركة فتح -في مختلف أفرعها على الأراضي الفلسطينية المحتلة- بالإدانة الغاضبة والدعوة للوحدة، وهو ما عبر عنه منذ البداية الناطق باسم الحركة «فهمي الزعاريير» في بيان وزعه المكتب الإعلامي للحركة في نابلس بأن «الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة تندرج في نطاق حرب الإبادة و«المحرقة» بحق أبناء الشعب العربي الفلسطيني، وضمن سياسة القتل والتدمير التي تمارسها آلة الحرب، وبأن «الغارات الإسرائيلية جاءت في الوقت الذي تبذل فيه الشقيقة مصر جهوداً طيبة من أجل العودة إلى التهدئة، وتفادي المواجهة غير المتكافئة بين شعبنا الأعزل وجيش الاحتلال، وفي الوقت الذي يعاني فيه القطاع من آثار الحصار الكارثي وغير المسبوق!!».

وطالب «بالوقف الفوري لهذا العدوان، والعودة إلى إطار التهدئة ووقف إطلاق النار...» إلى جانب تحميل المجتمع الدولي مسؤولية إخراج الشعب الفلسطيني مما أسماه «الزعاريير» دائرة المغامرات والمغامرات السياسية والانتخابية للإحتلال الإسرائيلي وتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني، ومهاجماً

إسرائيل على إنهاء الاحتلال والحصار والاستيطان هي مفردات الاختلاف في موقف النموذجين للنخبة في فتح والتي غابت عن تصريحات النموذج الأول<sup>(٦٠)</sup>.

إلا أن ذلك لا ينفي أن ثمة هجوماً قد شُنَّ من بعض من تلك النخبة على حماس فيما يتعلق ويدخل في سياق حرب الشرعية معها والسابقة على العدوان، وليس التوقف عند تحميلها مسؤولية شن العدوان فحسب وهو ما تشير إليه تصريحات رئيس كتلة فتح البرلمانية «عزام الأحمد» بعد الحرب والتي ذكر خلالها أنه «لم يكن هناك مجاعة أو نقص في الأدوية» في غزة كما يدعون، أي حركة حماس وحكومتها المسيطرة على غزة، لكن «هم يريدون ابتزازاً سياسياً»، وقوله بأن حركة حماس تستغل حاجة أهالي غزة ومعاناتهم لتحقيق أغراض سياسية، وبأن الحركة «تريد تشويه الصورة وخط الأوراق لأنه عندما فُتح المعبر (معبّر رفح) أمام الحجاج منعوا الحجاج»، ومتهماً حماس بقتل ٢٨ من مقاتلي حركة فتح مرجعاً ذلك إلى أنهم «اعتقدوا أن فتح ستتنقض على مؤسسات السلطة في ظل العدوان» ومفسراً ما سلف من تصريحاته بشأن حماس بأنهم يرغبون في ابتزاز الجانب المصري والأطراف المعنية للاعتراف بهم كسلطة أمر واقع» وأنهم «كسلطة وطنية وشرعية كانوا يحاولون تأمين احتياجات أهالي القطاع أولاً بأول، وهو ما يدخل بدوره في العودة إلى الطابع الصراعى بالدرجة والشاكلة السابقة على العدوان لاسيما فيما يتعلق بمسألة حرب الشرعية مع حكومة حماس المسيطرة على غزة<sup>(٦١)</sup>.

**كيف أثر العدوان على موقف الشارع الفلسطيني في رام الله؟**

يرى المراقبون لمجريات الأحداث خلال فترة العدوان على غزة لاسيما في الضفة بأن الحزن قد «صهر المجتمع الفلسطيني على ما يبدو» وذلك من واقع اندلاع المظاهرات في الضفة الغربية في كل بلدة وقرية ومخيم تقريباً للاحتجاج على الموت والمعاناة التي عصفت بأهالي غزة<sup>(٦٢)</sup>.

وهو ما تعاملت معه السلطة الفلسطينية بقيادة فتح من منطلق اشتراط أن يكون ذلك في إطار التنديد بالعدوان والدعوة إلى الوحدة بما يتماهى مع مواقف السلطة وحركة فتح، وألا يخرج عن هذا الإطار بجعل التظاهرات فرصة لحشد تأييد لحركة حماس، وذلك من خلال تصدى قوات الأمن التابعة للسلطة للتظاهرات التي رفعت أعلاماً لحماس وهتفت لها، بالضرب والتفريق<sup>(٦٣)</sup>.

وبعد انتهاء الحرب استمرت الأصوات المطالبة بالوحدة على صعيد الضفة، التي عبر عنها رمزياً سكان الضفة الغربية على سبيل المثال خلال مسيرتهم الأسبوعية ضد الجدار العنصري في قرية بلعين في ٢٤-١-٢٠٠٩ من خلال ارتداء كل شخصين قناعين حملاً بصورتي الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس

فتح في المجلس التشريعي الفلسطيني أوآخر يناير بقوله إن جزءاً من مقاتلي حركة فتح «قُتل للأسف بيد ميليشيا حماس»، وبأن «المسؤول عن ذلك سعيد صيام؛ لأنه تولى ما سُمي الجبهة الداخلية، ولدينا بالتاريخ والمكان والساعة ظروف مقتل هؤلاء» الذين أشار إلى أن عددهم ٢٨ مقاتلاً<sup>(٥٨)</sup>.

### موقف النخبة في فتح:

عبّرت النخبة كذلك في فتح عن موقف مندد بالحرب، وهو ما يمكن بصده استعراض نموذجين للنخبة في الحركة قد يكون بينهما الكثير من أوجه الاختلاف على صعيد المواقف والسلوكيات وإدراكهم كخبة في الشارع الفلسطيني بوجه عام والفتحاوى على وجه الخصوص، إلا أنهما قد تشابها نسبياً في إبداء الأراء والمواقف حول الحرب وهما نموذج «محمد دحلان» عضو المجلس التشريعي الفلسطيني وعضو المجلس الثوري لحركة فتح، ونموذج «مروان البرغوثي» أمين سر حركة فتح والنائب بالمجلس التشريعي الفلسطيني، والمحكوم عليه اسرائيليا بالسجن مدى الحياة، والذي أبدى موقفه من داخل سجنه.

أدان «محمد دحلان» الحرب منذ البداية ووصفها بالعدوان، ودعا الفصائل والقوى الفلسطينية للتوحد في مواجهة العدوان الإسرائيلي، مشيراً إلى أن «هذا الوقت هو الوقت المناسب للوحدة والتوافق للدفاع عن الوطن والشعب». وطالب المجتمع الدولي «بالضغط على إسرائيل لوقف العدوان بشكل فوري على قطاع غزة»<sup>(٥٩)</sup>.

أما «مروان البرغوثي»، والذي تزامنت تصريحاته مع موعد انعقاد القمة الاقتصادية العربية في الكويت، فقد تضمن موقفه الدعوة إلى الوحدة بشكل عملي من خلال دعوته إلى تشكيل حكومة فلسطينية موحدة تتولى إعادة الإعمار والبناء والتحضير لإجراء انتخابات تشريعية ورئاسية، وأخرى لعضوية المجلس الوطني الفلسطيني، إلى جانب تعبيره عن موقف مطالب لقمة الكويت باتخاذ موقف إيجابي بصدد مسألة وقف العدوان والذي كان لايزال مستمراً، والعمل على حلول جذرية للقضية الفلسطينية، وأيضاً إعادة الإعمار لغزة من خلال مطالبته للقمة «باتخاذ قرارات واضحة وقوية لوقف العدوان، وإنهاء الاحتلال والاستيطان والحصار، وإجبار إسرائيل على إنهاء احتلالها للأراضي العربية والفلسطينية، واستخدام جميع الطاقات التي يمتلكها العرب لتحقيق هذا الهدف»، وإشارته إلى ضرورة أن توفر قمة الكويت «كل أسباب الدعم بجميع أشكاله للشعب الفلسطيني، إلى جانب «مضاعفة الجهود العربية وتوحيدها لدعم وحدة الصف الفلسطيني ودعم الحوار الوطني والوفاق الفلسطيني ودعم مقاومته»... ولعل الأخيرة -أي دعم المقاومة- إلى جانب المطالبة الواضحة بفتح الحصار ومسألة إجبار

شعارات «شعب واحد.. ألم واحد»، وغلب عليها الأعلام الفلسطينية والسوداء على الأعلام الحزبية تغليباً لمفهوم الوحدة<sup>(٦٩)</sup>. احتج المتظاهرون على المجازر الإسرائيلية وأكدوا صمود المقاومة، وشهدت المظاهرات نقداً لاذعاً للحكام العرب وموقفهم من الحرب، والتعبير عن رفض لاجتثاث المقاومة الفلسطينية. وهو ما أثار غضب إسرائيل، لاسيما قوى اليمين المتطرف، وتمت مواجهته بالضرب والاعتقالات والحشود الأمنية.

#### مواقف النخبة من عرب ٤٨ من العدوان:

عبرت عن مواقف عموم الفلسطينيين من عرب ٤٨ تصريحات النخبة منهم حيال الحرب والتي يمكن ذكر بعضها كنماذج لقياس وتقدير وجهة تلك النخبة في موقفها من الحرب الإسرائيلية على غزة نحو المفكر الفلسطيني «عزمى بشار» الذى قال على سبيل المثال في معرض مقال له حول الحرب بأنه «لا يمكن للحرب على غزة إلا أن تكون جريمة حرب»<sup>(٧٠)</sup> الدكتور جمال زحافة، النائب العربي بالكنيست، ورئيس حزب التجمع الوطني، الذى عبر عن الاستياء من الموقف العربى من العدوان بقوله: «إن مشاركة عشرات الآلاف من فلسطيني ٤٨ تأتي للتعبير عن تضامنهم مع إخوانهم في غزة، وللتنديد بالتواطؤ العربى في المجزرة التي ترتكبها إسرائيل»، إلى جانب التعبير عن الموقف من المقاومة بقوله إنه «لا يمكن القبول باستهداف حماس، فهي حركة وطنية فلسطينية وجزء من النسيج الاجتماعي الفلسطيني» وبأن «إسرائيل من خلال هذه الحرب لا تستهدف حماس بقدر ما تحاول تركيع الشعب الفلسطيني وتطويعه، تمهيداً لفرض رؤيتها للتسوية عليه»، إلى جانب تعبيره عن منطلقات مساندة غزة على الرغم مما يتعرض له النواب العرب بالكنيست من انتقادات لاذعة من قبل نظرائهم اليهود بسبب هذه المواقف بقوله «يجب أن نقف بجانب أهلنا في غزة، ليس لأننا فلسطينيون فقط، بل لأن هذا واجب أخلاقي وإنساني». وهو ما يكمل زواياه في منظور النخبة من عرب ٤٨ تصريح القيادي بالحركة الإسلامية «عباس ذكور» بشأن واقع الهوية الغالبة لدى فلسطيني ٤٨، بغض النظر عن واقع الهوية المفروضة عليهم بحكم موضعهم داخل حدود إسرائيل والمفروضة عليهم منذ عام ٤٨ بتصريحه بمعرض المظاهرة الكبرى وغير المسبوقة سألقة الذكر بقوله «إن الاستجابة للمشاركة في المسيرة كانت أكثر بكثير مما توقعه منظموها، وهذه المشاركة تؤكد أن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية والداخل وقطاع غزة والشتات كل لا يتجزأ مهما حاولت إسرائيل دق الأسافين. ومشيراً إلى إدراك العدوان الإسرائيلي على غزة كنموذج للنخبة من عرب ٤٨ بقوله: «إسرائيل إذا أجهضت المقاومة في غزة فستنتقل إلى الضفة، وبعدها ستحاول تجريب الأسلوب نفسه مع فلسطيني ٤٨»<sup>(٧١)</sup>. وهو

الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية وظلاً يتصافحان طوال النهار تعبيراً عن رغبتهم في الوحدة ما بين فتح وحماس<sup>(٦٤)</sup>، وهو ما يشير بدوره إلى مجيء العدوان كحدث دافع باتجاه تقبيل الانقسام والحاجة الملحة إلى مطلب الوحدة.

#### ثالثاً: موقف عرب ٤٨ من العدوان على غزة:

##### المشهد عشية العدوان:

في الوقت الذى كان يقترب من سكان غزة شبح العدوان الإسرائيلي الشامل خلال الحرب الاخيرة، كان عرب ٤٨ يترقبون مشهداً لشبح اسرائيلي آخر، والمتعلق بما يعرف بمفهوم وسياسة الدولة اليهودية «النقية» من العرب، والتي أُلحِت إليها وزيرة الخارجية الاسرائيلية «تسبي ليفني» قبيل الحرب، وعندما كانت مرشحة لمنصب رئاسة الوزراء ضمن تيار متنامٍ داخل إسرائيل لطرد عرب ٤٨ من المدن المختلطة بالسكان العرب، وحتى في أوساط التيارات الإسرائيلية التي تقول إنها تؤيد السلام مع العرب. وهو ما واجهته نخبة عرب ٤٨ برفض مغادرة أراضيهم داخل إسرائيل، كدولة احتلال، بالرغم من تصريحات «ليفني» حول هذا الأمر والتي قالت فيها إن «على الفلسطينيين الذين يعيشون في إسرائيل الانتقال إلى الدولة الفلسطينية عندما تقام»<sup>(٦٥)</sup>.

والتي توازى معها في الأيام نفسها مواجهة الحصار على غزة من خلال مظاهر كان منها قيام فلسطيني ٤٨، بذبح الأضاحي لجمع التبرعات لإخوانهم الذين يعيشون تحت الحصار في قطاع غزة<sup>(٦٦)</sup>، إلى جانب مساعيهم لتسيير بعض من سفن فك الحصار «سفيتنا المروءة» الليبية و«العيد» المتوجهة الى غزة من ميناء يافا قبيل الحرب أيضاً<sup>(٦٧)</sup>.

##### الموقف من العدوان

وبعد نشوب العدوان تصاعدت أصدااء الغضب لفلسطيني ٤٨ بمختلف فئاتهم العمرية على الصعيد الشعبي إلى جانب النخبة. تجسد هذا الغضب في انطلاق تظاهرات حاشدة طيلة أيام الحرب الإسرائيلية على غزة والتي بلغت ذروتها فى ٣-١-٢٠٠٩ بخروج أكبر تظاهرة على الإطلاق منذ نكبة ٤٨، بحسب المراقبين، فى مدينة سخنين داخل الخط الأخضر بالرغم من التهديدات الإسرائيلية برد صارم على تلك التظاهرات<sup>(٦٨)</sup>. خرجت هذه المظاهرات منذ بداية العدوان بدعوة من لجنة المتابعة العربية، التي تشكل قيادة فلسطيني ٤٨، والتي جمعت ما بين النخبة السياسية لعرب ٤٨ من قيادات سياسية وحزبية من النواب العرب بالكنيست وقيادة الأحزاب والحركات السياسية ورؤساء المنظمات الأهلية، وما بين عموم فلسطيني ٤٨ بمختلف فئاتهم العمرية. تعالت في المظاهرات هتافات تحمل

## برز البعد الأممي في إطار نزعة إنسانية تبرز التداخل بين ما هو أممي إسلامي وما هو إنساني من القضايا والقيم

البعد الأممي في إطار نزعة إنسانية تبرز التداخل ما بين ما هو أممي إسلامي وما هو إنساني من القضايا والقيم والذي يمثلته هنا رفض العدوان الإسرائيلي وممارساته اللامشروعة كقوة احتلال، والتعاطف مع من وجه إليهم، والتمسك بالتحقيق غير المنحاز فيما حدث، بما سماه فوق جسر الحساسيات الأيديولوجية التي بلغت ذروتها فيما بعد الحادي عشر من سبتمبر وما يتعلق به من إشكاليات وتداعيات، وبما خالف ما كان مألوفاً عالمياً بأن تكسب إسرائيل دوماً تسويقياً -بغض النظر عن فكرة الاستحقاق- هذا البعد والغطاء الإنساني لسياساتها ضد الفلسطينيين.

إلا أنه وعلى الجانب الآخر -سلطوي الطابع- وعلى ضوء مفردات الاستقطابية والمحاورية التي تسود البيئة الدولية، وتبعاً لها البيئتان الإقليمية والداخلية في الضفة وغزة، يبدو أن السلطة السياسية والصراع حولها وتحوله إلى صراع المبدأ والأيديولوجيا التي تسود كل فريق، ما بين «معتدلين» و«ممانعين» قد شكل بدوره سداً منيعاً، يبدو أن تلك الدماء قد عجزت عن اختراقه لسد أغوار التمزق -السياسي- في الجسد الفلسطيني، اللهم إلا فيما يتعلق ببعض المواقف التكتيكية التي تستدعيها مهابة هذه الدماء، لاسيما على صعيد فريق السلطة الفلسطينية ومن يعتنق خطها السياسي من حركة فتح، من منطلق أن التعاطف سيكون رصيلاً للطرف الذي وقع على رقعه العدوان. وذلك دون أي تغييرات استراتيجية ملموسة في مسار ومصير الصراع الفلسطيني الفلسطيني في وضعه وهيكله الحاليين، وهو ما يجعل بدوره من آثار الحرب على المشهد الداخلي الفلسطيني مرتبطة بالأساس بعوامل رئيسية ثلاث هي:

-العامل الدولي من حيث مآلات الصراع الدولي الحالي ما بين قوى الاعتدال وقوى الممانعة: بما في ذلك مدى محافظة كل قطب على درجة كافية من الجذب للمستقطب الفلسطيني في الضفة وغزة<sup>(٧٤)</sup> دون أن تخسره لصالح القطب الآخر ودون أن تسقطه في حال فقد شرعيته الداخلية، وهو ما قد يفسر حرص الإسرائيلي إلى جانب القوى الكبرى «المعتدلة» على الحديث عن خطط ومشاريع السلام وعدم تبنيس ممثلي السلطة الفلسطينية إلى جانب قوى «الاعتدال» الإقليمية و قوى الممانعة المعنية بالسلام «سوريا» من جوارها.

ما حاولت إسرائيل تجنب آثاره الجانبية لاسيما على الصعيد الدولي، ومن ذلك ما قامت به من خطوة رمزية بعبء الحرب بترشيح مطربة عربية لتمثيل إسرائيل إلى جانب أخرى إسرائيلية في المسابقة الأوروبية التي تشارك فيها إسرائيل منذ عام ١٩٧٣، والتي تحمل اسم «يوروفيجن» كخطوة غير مسبوقة، فسررها البعض بأنها استخدمت من قبل إسرائيل كغطاء دعائي لمحاولة التغطية على ما حدث في غزة من انتهاكات، ومن أجل أن يظهر للعالم كم أن إسرائيل حرة وليبرالية، وأن العرب يعيشون بشكل حر ومتساوي في إسرائيل، بدليل أن مطربة من عرب ٤٨ تظهر في اليوروفيجن مع مغنية إسرائيلية<sup>(٧٥)</sup>، بعكس واقع التوتر والمشاحنات التي تجلت على وجه الخصوص خلال فترة العدوان على غزة. وهو ما واجهه مثقفون من عرب ٤٨ بتوجيه خطاب مفتوح دعا فيه، إلى جانب البعض من دعاة السلام الإسرائيليين، المطربة العربية إلى الانسحاب من المسابقة<sup>(٧٦)</sup>.

وهو ما يمكن الخروج منه بمجمل الموقف العام لعرب ٤٨ من العدوان على غزة سواء على صعيد النخبة أو العوام، والذي يشير إلى أن العدوان الأخير على غزة قد وضع خطأ جديداً تحت إشكالية الهوية التي انعقدت خيوطها منذ اعلان إسرائيل كدولة معترف بها من قبل الأمم المتحدة وأخر النصف الأول من القرن المنصرم، وأنه قد رسخ وأيد بجلاء فكرة التلازم والتوازي ما بين تصعيد القوات الإسرائيلية انتهاكاتها ضد الشعب الفلسطيني خارج الخط الأخضر بتصعيد مواز من حيث الحجم من قبل عرب ٤٨ داخل الخط الأخضر وهو ما يشكل بدوره خطأً دفاعياً من المتوقع أن يؤخذ في الحسبان إسرائيلياً عند الإقدام على أي انتهاك تصعيدي مشابه.

قد تكون الدماء المراقبة في شوارع غزة قد سدت أغوار الانقسام الجغرافي على الصعيد غير الرسمي بمختلف أطرافه، وأشارت بالبنان إلى صفحة جديدة ارتسمت فيها ملامح الدلالة الحضارية لتداعيات و آثار هذه الحرب، والتي تمثلت تحديداً على الصعيد غير الرسمي في تهميش هذا الانقسام الجغرافي وتحييده كعائق شكلي لدواعي المناصرة والتوحد ما بين الفلسطينيين ابتداءً في الضفة وغزة كما داخل الخط الأخضر والمهجر- وعلى صعيد العرب والمسلمين، في ظل دعم موسع مقارنة بما قبل من شرائح واسعة نسبياً ومختلفة من الرأي العام العالمي بمعزل عن عنصرية العرق أو المعتقد أو غير ذلك من خلال استقطاب من امتلكت قوى جذبه بالأساس هذه المرة تلك «الآلة الإعلامية الجهنمية» كما يسميها البعض، إلى جانب دعاة ومسوقي تلك المناصرة من المهاجرين العرب والمسلمين داخل دول المهجر من منطلق ونزعة إنسانية استدعتها الصورة الحية واخبرت عنها أصداء الكذائف وأصوات التفجيرات، ليبرز

بالانتخابات الرئاسية، إلى جانب انعكاسات العدوان ونتائج على حجم التمثيل البرلماني ومن ثم السياسي لكل من فتح وحماس على وجه الخصوص على صعيد الانتخابات التشريعية<sup>(٧٨)</sup>.

مع تأكيد أن دماء ضحايا العدوان على غزة يُتوقع أن تلعب دوراً حاسماً ومهماً بصدد جميع العوامل سالف الذكر والإشارة من تطورات وتفاعلات، من شأن الأيام والسنوات المقبلة أن تكشف عن حجمه ومدى تأثيره على مشهد الصراع السياسي في الداخل الفلسطيني كما في خارجه من مشاهد إقليمية ودولية.

#### المراجع والهوامش:

(١) يمكن مراجعة ذلك على سبيل المثال في:

[http://www.aafaq.org/news.aspx?id\\_news=8099](http://www.aafaq.org/news.aspx?id_news=8099)

[http://www.rtarabic.com/news\\_all\\_news/27168](http://www.rtarabic.com/news_all_news/27168)

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1235628911746&pageName=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1235628911746&pageName=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(٢) ففي سابقة لم يشهدها المراقبون منذ عقود، انطلقت المظاهرات الغاضبة في كل أنحاء العالم، وفي الساحتين العربية والإسلامية على وجه الخصوص، حيث شهدت العواصم والمدن، بل والقرى العربية مظاهرات كبيرة ممددة بتلك الجرائم تارة، وبالصمت العربي والتواطؤ الدولي تارة أخرى. راجع في ذلك صلاح عبد المقصود، غضبة الشعوب.. الدلالات ووسائل الاستمرار، ١٥-١-٢٠٠٩، مركز الجزيرة للدراسات على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/01B58517-B93B-4B27-881B-5614FAE016A3.htm>

(٣) راجع في ذلك هاني المصري، الدور الفلسطيني في أزمة غزة والحلول الممكنة، ١٥-١-٢٠٠٩، مركز الجزيرة للدراسات، على موقع الجزيرة نت على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/4CE628C9-917B-4B76-973C-30275B7B3B65.htm>

(٤) يمكن الرجوع في ذلك إلى: ارتباك في معسكر دول الاعتدال، مركز الجزيرة للدراسات، ديسمبر ٢٠٠٨، على الرابط:

[http://www.3alamy.com/index.php?option=com\\_content&view=article&id=813&catid=52](http://www.3alamy.com/index.php?option=com_content&view=article&id=813&catid=52)

(5) <http://www.america.gov/st/washfile-arabic/2007/April/20070430172938bsibhew0.7627375.html>

- العامل الدولي من حيث تطورات وملامح البيئة الدولية في المرحلة الحالية والتي تسعى في إطارها الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس «باراك أوباما» إلى التراجع النسبي والتدريجي من سياسة «القطب الطرف في الصراع» كما كان سائداً ومتوسعاً فيه في عهد المحافظين الجدد لصالح سياسة «القطب المدير للصراع»<sup>(٧٥)</sup> في ظل مجموعة من العوامل والمتغيرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية -وفق قراءة اجتهادية للمشهد الدولي الحالي وعلى ضوء المؤشرات- بما يمكن وصفه بالتوسع في الارتكاز إلى سياسة الصراع بالوكالة مع التحييد التدريجي للذات الأمريكية إلى أقصى مدى ممكن في واجهة هذه الصراعات وبالتالي في دفع كلفتها<sup>(٧٦)</sup> وهو ما من شأنه -في حال نجاح أهداف الاستراتيجية الأمريكية في صورتها الحالية بصدده- التأثير على والتعديل في ملامح خريطة الصراعات والتحالفات على صعيد المنطقة ترسيخاً للملاحا أو تغييراً لها، لاسيما على عدة محاور، وهي المحور العربي الإسرائيلي والمحور الفلسطيني الإسرائيلي والمحور الفلسطيني - الفلسطيني العربي/الإيراني.

حيث يعيننا الأخير من زاويتين: أولاهما أن حماس هي إحدى أعضاء حلف الممانعة الذي أسست له إيران في الشرق الأوسط في المرحلة الراهنة، وثانيتها تتعلق بالتوجه الأمريكي والإسرائيلي الحالي بدفع وتغذية ما يعرف بالعداء العربي تجاه إيران (تحت راية الطموح والخطر النووي الإيراني) في اتجاه السلام العربي مع إسرائيل<sup>(٧٧)</sup> وذلك من خلال الاستفادة من تشغيل محور صراعي ما بين العرب وإيران، تشير بوصلته إلى دهليز التعاون والتحالف مع إسرائيل، دون تحصيل الحد الأدنى للمقابل المطالب به فلسطينياً وإقليمياً بالأساس. وهو ما يُرهن في مجمله بمدى نجاح هذا التوجه في فرض سياساته والهدف من تفعيلها والذي سيؤثر حتماً على المشهد السياسي الداخلي الفلسطيني من حيث طبيعة مواقف مختلف القوى والفصائل وعلى رأسها فتح وحماس وأثار ذلك على طبيعة العلاقات فيما بينهم، إلى جانب العامل الخارجي لإدارة الصراع فيما بين محوري فتح وحماس.

#### مآلات حرب الشرعية المتبادلة ما بين فتح وحماس

طالما أصر كل طرف على شروط المصالحة ومن ثم الوحدة، والتي تتحدد داخليا بموقف الشارع الفلسطيني ومواقف مختلف الفصائل الفلسطينية في هذا الصدد، والذي يدخل في نطاقه ما ستصير إليه نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية الفلسطينية، والتي ستحدد بدورها من الذي سيقود حركة فتح والسلطة الفلسطينية فيما بعد يناير ٢٠١٠ فيما يتعلق



- (42) [http://www.arabic.xinhuanet.com/arabic/2009-02/23/content\\_822476.htm](http://www.arabic.xinhuanet.com/arabic/2009-02/23/content_822476.htm)
- (43) [http://www.moheet.com/show\\_news.aspx?nid=219689&pg=2](http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=219689&pg=2)
- (٤٤) راجع تصريحات عباس المنشورة في جريدة الحياة بتاريخ ٢٠٠٩-١-٢٩
- (٤٥) جريدة الحياة، ٢٠٠٩-١-٣٠.
- (46) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1232171545629&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1232171545629&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)
- (٤٧) جريدة الحياة ٢٩-١-٢٠٠٩.
- (48) <http://www.elaph.com/Web/Politics/2009/1/401619.htm>
- (49) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1232976495479&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1232976495479&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)
- (50) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1233567801137&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1233567801137&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)
- (51) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1234631397111&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1234631397111&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)
- (٥٢) يمكن الرجوع في ذلك إلى:
- [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1235628684975&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1235628684975&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)
- (53) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1235628699075&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1235628699075&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)
- (54) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1235628721708&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1235628721708&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)
- (55) <http://www.maannnews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=135178&MARK>
- (56) [http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle\\_east\\_news/newsid\\_7862000/7862425.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7862000/7862425.stm)

- وتقرير اخباري يتناول شعبية المقاومة على الصعيد الدولي والداخلي بصحيفة الثورة السورية بتاريخ ٢٢-١-٢٠٠٩ على الرابط:
- [http://thawra.alwehda.gov.sy/\\_print\\_veiw.asp?FileName=5446028620090122230704](http://thawra.alwehda.gov.sy/_print_veiw.asp?FileName=5446028620090122230704)
- (31) <http://www.swissinfo.org/ara/front.html?siteSect=105&sid=10254391&cKey=1234531113000&ty=st>
- (٣٢) هدى الحسيني، العرب عربان في قمة الكويت، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٩-١-٢٠٠٩
- (33) <http://www.kuna.net.kw/NewsAgenciesPublicSiteArticleDetails.aspx?Language=ar&id=1971706>
- «هدى الحسيني، العرب عربان في قمة الكويت، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٩-١-٢٠٠٩
- (٣٤) هدى الحسيني، المرجع السابق.
- (35) <http://www.elaph.com/Web/Politics/2009/1/401619.htm>
- [http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid\\_7862000/7862664.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_7862000/7862664.stm)
- (36) [http://www.arabic.xinhuanet.com/arabic/2009-02/23/content\\_822476.htm](http://www.arabic.xinhuanet.com/arabic/2009-02/23/content_822476.htm)
- (٣٧) جريدة الحياة، ٢٩-١-٢٠٠٩.
- (٣٨) راجع في ذلك حديث الرئيس عباس للتلفزيون التشيكي في ٢٤-٢-٢٠٠٩ على الرابط:
- <http://www.elaph.com/Web/Politics/2009/2/413087.htm>
- [http://www.moheet.com/show\\_news.aspx?nid=219689&pg=2](http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=219689&pg=2)
- (39) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1199279916745&pagename=Zone-Arabic-News%2FNWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1199279916745&pagename=Zone-Arabic-News%2FNWALayout)
- (٤٠) جريدة الحياة، ٢٩-١-٢٠٠٩
- [http://www.moheet.com/show\\_news.aspx?nid=219689&pg=2](http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=219689&pg=2)
- (41) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1231223537056&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1231223537056&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(٧٠) راجع في ذلك مقالاً بعنوان «عزمي بشارة يكتب عن الأهداف الإسرائيلية للعدوان» والذي نُشر على موقع الجزيرة نت بتاريخ ١-٩-٢٠٠٩ على الرابط:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/C9AF6054-1CC3-461E-9C5B-C7746EC65345.htm>

(71) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650252431&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650252431&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(72) [http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle\\_east\\_news/newsid\\_7915000/7915079.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7915000/7915079.stm)

(٧٣) المرجع سالف الذكر.

(٧٤) أعنى المستقطب الفلسطيني أمريكياً في الضفة وإيرانياً في غزة.

(٧٥) تحتل هنا كلمة الصراع الصراعات الداخلية أو الخارجية، كما تعني عبارة «قطباً مديراً للصراع» احتمالها لإدارة التعاون أيضاً كعنصر مساعد ومكمل لإدارة الصراع. بل يمكن القول انه مترتب عليه بشكل أو بآخر. ويقصد هنا أيضاً بعلاقات التعاون شقاها الداخلي والخارجي.

(٧٦) لا يعني ذلك تصور إمكانية التحييد التصفيري للصراعات ما بين الولايات المتحدة والفاعلين الآخرين -أي وصولها إلى درجة الصفر أو العدم- بل يعني السعي الأمريكي -إلى أقصى مدى ممكن- إلى تجنب هذه الصراعات وكلفتها التي أضرت في المرحلة السابقة بالقطب الأمريكي على أصعدة مختلفة سياسية واقتصادية وعسكرية ورمزية. وأعني بالأخيرة التدايمات الرمزية المتعلقة بكل ما سبق وإسقاطاتها على الهوية والمكانة الدولية الأمريكية، وذلك يتوقف بدوره على عاملين: أولهما مدى ديناميكية الرؤية الأمريكية الحالية للتعاطي مع التحديات المصلحية الحالية والمستقبلية، وثانيهما هو طبيعة الدور الذي يلعبه الفاعلون الآخرون في نجاح هذه الاستراتيجية، أو إفشالها من خلال تأجيج الصراعات وتصعيدها مع الولايات المتحدة وجعل الصراع ودفع كلفته أمراً حتمياً.

(٧٧) يمكن الرجوع في ذلك إلى: هبة السيد رمضان، مؤتمر أنابوليس للسلام: تعدد المواقف وطبيعة الأهداف، ملف الأهرام الاستراتيجي، عدد ١٥٥، نوفمبر ٢٠٠٧، ص ١٢٦: ١٢٥.

(٧٨) وذلك مع الاعتداد النوعي بنتائج الانتخابات التشريعية من حيث موقف الناخبين تحديداً من التيارات الفتاوية المتزمنة بالخط السياسي للسلطة الفلسطينية الحالية وتلك المخالفة لها في التوجه والمواقف.

(57) [http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle\\_east\\_news/newsid\\_7848000/7848888.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7848000/7848888.stm)

(58) [http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle\\_east\\_news/newsid\\_7848000/7848888.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7848000/7848888.stm)

(59) <http://www.maannnews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=135178&MARK>

(٦٠) راجع في ذلك موقع جريدة الصباح الفلسطينية على الرابط:

<http://www.alsbah.net/mynews/modules.php?name=News&file=article&sid=18469>

(61) [http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle\\_east\\_news/newsid\\_7848000/7848888.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7848000/7848888.stm)

(62) [http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle\\_east\\_news/newsid\\_7833000/7833524.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7833000/7833524.stm)

(٦٣) راجع على سبيل المثال:

[http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle\\_east\\_news/newsid\\_7833000/7833524.stm](http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_7833000/7833524.stm)

(٦٤) راجع في ذلك: <http://www.islamonline.net>، ٢٥-١-٢٠٠٩.

(65) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1228489971427&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1228489971427&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(66) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1228489970549&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1228489970549&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(67) [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1228489957998&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1228489957998&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(68) [http://www.moheet.com/show\\_news.aspx?nid=205686&pg=1](http://www.moheet.com/show_news.aspx?nid=205686&pg=1)

(69) [http://www.islamonline.net/Arabic/Multimedia/video\\_reports/2009/01/03/08.shtml#top](http://www.islamonline.net/Arabic/Multimedia/video_reports/2009/01/03/08.shtml#top) و [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650252431&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650252431&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)